❁ **عنوان البحث:**

منهج الإمام شريح القاضي الفقهي
دراسة تأصيلية

ويشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وتسعة فصول وخاتمة

(المقدمة)

وهي التي أعرض فيها عنوان البحث وسبب اختياري لدراسة موضوع البحث والصعوبات التي واجهتني في دراسته وخطتي في دراسته

(التمهيد)

"حقيقة منهج الإمام شريح الفقهي"

وفيه أناقش مسائل:

١) تعريف المنهج لغة.

٢) وتعريفه اصطلاحًا مع وقفة مع أولية المنهج.

٣) التعريف المختار ونزعاته.

٤) أركان المنهج.

٥) الألفاظ ذات الصلة بلفظ المنهج.

٦) المقصود بمنهج الإمام شريح القاضي الفقهي.

obeikandl.com

(الفصل الأول)

"التعريف بالإمام شريح وبيئاته ومكانته العلمية"

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي:

❁ **المبحث الأول: التعريف بالإمام شريح. وفيه مطالب:**

- **المطلب الأول**: اسمه وضبطه.
- **المطلب الثاني**: لقبه وكنيته ونسبه.
- **المطلب الثالث**: نشأته ميلاده وصباه.
- **المطلب الرابع**: رحلاته.
- **المطلب الخامس**: حياته الأسرية.

وفي كل مطلب أناقش مسائل.

❁ **المبحث الثاني: التعريف ببيئات الإمام شريح وأثرها في منهجه. ويشتمل على أربعة مطالب:**

- **المطلب الأول**: البيئة الاجتماعية التي عاش فيها شريح القاضي.

ويشتمل على:

أ- البيئة الاجتماعية التي عاش فيها في كندة.

ب- البيئة الاجتماعية التي عاش فيها في الكوفة.

ج- أثر البيئة الاجتماعية في منهجه.

- **المطلب الثاني**: البيئة الاقتصادية التي عاش فيها الإمام شريح وأثرها في منهجه.

ويشتمل على:

أ- البيئة الاقتصادية التي عاش فيها في كندة.

ب- البيئة الاقتصادية التي عاش فيها في الكوفة.

obeikandl.com

ج- أثر البيئة الاقتصادية في منهجه.

▫ **المطلب الثالث**: البيئة السياسية التي عاش فيها الإمام شريح وأثرها في منهجه.

ويشتمل على:

أ- البيئة السياسية التي عاش فيها في كندة.

ب- البيئة السياسية التي عاش فيها في الكوفة.

ج- أثر البيئة السياسية في منهجه.

المطلب الرابع: البيئة العلمية والثقافية التي عاش فيها الإمام شريح وأثرها في منهجه.

ويشتمل على:

أ- البيئة العلمية والثقافية التي عاش فيها في كندة.

ب- البيئة العلمية والثقافية التي عاش فيها في الكوفة.

ج- أثر البيئة العلمية والثقافية في منهجه.

❁ **المبحث الثالث: مكوناته الثقافية ومكانته العلمية. ويشتمل على مطلبين هما:**

المطلب الأول: مكونات الإمام شريح القاضي الثقافية. وفيه مسائل هي:

أ- ذكر شيوخه. ب- ذكر أقرانه. ج- ذكر تلامذته.

▫ **المطلب الثاني**: مكانة الإمام شريح القاضي العلمية.

وفيه مسائل:

١- أقوال العلماء فيه (الصحابة والتابعين).

٢- أقوال العلماء في اجتهاده.

٣- احتجاجهم بآرائه.

٤- توليه القضاء.

obeikandl.com

٥- تصنيفهم في أقضياته.

(الفصل الثاني)

"الحجية والإثبات عند الإمام شريح"

ويتكون هذا الفصل من مبحثين:

❁ **المبحث الأول: الحجية عند الإمام شريح.**

ويشتمل على:

- **توطئة:** تعريف الحجية.
- **المطلب الأول:** مصادر الحجية عند الإمام شريح (الكتاب والسنة).
- **المطلب الثاني:** مكانة السنة من الكتاب (سنة مبينة ومستقلة).

❁ **المبحث الثاني: الإثبات عند الإمام شريح.**

ويشتمل على...

- **توطئة:** تعريف الإثبات.
- **المطلب الأول:** معرفته بالأحوال المحيطة بالرواية في عصره.
- **المطلب الثاني:** الرد دراية.
- **المطلب الثالث:** رفضه لبعض صيغ الأداء.
- **المطلب الرابع:** تتبعه للأخبار.
- **المطلب الخامس:** موقفه من بعض معايير قبول الأخبار وردها.

(الفصل الثالث)

"الفهم وقواعده عند الإمام شريح"

ويتكون هذا الفصل من:

- **توطئة:** المقصود بالفهم عند الإمام شريح.

❁ **المبحث الأول: الأوامر والنواهي عند الإمام شريح.**

obeikandl.com

❁ **المبحث الثاني: العام عند الإمام شريح.**

❁ **المبحث الثالث: التخصيص عند الإمام شريح.**

❁ **المبحث الرابع: المطلق والمقيد عن الإمام شريح.**

❁ **المبحث الخامس: المنطوق والمفهوم عند الإمام شريح.**

(الفصل الرابع)

"الإجماع عند الإمام شريح"

ويتكون هذا الفصل من:

توطئة: (١) تعريف الإجماع. (٢) نشأة الإجماع.

❁ **المبحث الأول: موقف الإمام شريح من (حجية الإجماع).**

- **توطئة:** وفيها ثلاثة أمور:
- (١) إمكان وجود الإجماع عادةً (٢) إمكان العلم به.
- (٣) إمكان نقله لمن يحتج به.
- **المطلب الأول:** آراء العلماء في حجية الإجماع.
- **المطلب الثاني:** موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالإجماع.

❁ **المبحث الثاني: موقف الإمام شريح من (أنواع الإجماع).**

- **المطلب الأول:** أنواع الإجماع عند الأصوليين من (حيث الصراحة وعدمها).
- **المطلب الثاني:** موقف الإمام شريح من أنواع الإجماع من (حيث الصراحة وعدمها).
- **المطلب الثالث:** موقف الإمام شريح من (بعض الإجماعات الخاصة).

(١) إجماع أهل المدينة. (٢) إجماع الخلفاء الراشدين.

obeikandl.com

(الفصل الخامس)
"القياس عند الإمام شريح"

ويشتمل على:

- **توطئة:** حقيقة القياس وتشتمل على عنصرين:

(١) تعريف القياس. (٢) نشأة القياس.

❁ **المبحث الأول: موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالقياس.**

وتشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** الاحتجاج بالقياس عند الأصوليين.

وفيه مسألتان:

(١) تحرير محل النزاع. (٢) آراء الأصوليين في الاحتجاج بالقياس.

- **المطلب الثاني:** موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالقياس.

وفيه مسألتان:

(١) رسالة عمر ﷺ لشريح في القضاء.

(٢) ذكر شريح القاضي ضمن العلماء الذين عملوا بالقياس.

- **المطلب الثالث:** مرتبة القياس عند الإمام شريح.

❁ **المبحث الثاني: أقسام القياس عند الإمام شريح.**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** قياس العلة.
- **المطلب الثاني:** قياس الشبه.

❁ **المبحث الثالث: من شروط القياس عند الإمام شريح.**

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** من شروط الأصل عن الإمام شريح القاضي.

obeikandi.com

- **المطلب الثاني:** من شروط الفرع عند الإمام شريح القاضي.
- **المطلب الثالث:** من شروط العلة عند الإمام شريح القاضي.

(الفصل السادس)

"الاستدلال عند الإمام شريح القاضي"

وفيه مباحث هي:

- **توطئة:** حقيقة الاستدلال:

وفيها عنصران:

(١) تعريف الاستدلال. (٢) حجيته.

❁ **المبحث الأول: رأي الصحابي.**

وفيه توطئة ومطالب:

- **توطئة:** في تعريف رأي الصحابي.
- **المطلب الأول:** موقف الإمام شريح من الاحتجاج برأي الصحابي.

وفيه مسائل:

(أ) الاحتجاج برأي الصحابي عند الأصوليين.

(ب) موقف الإمام شريح من الاحتجاج برأي الصحابي.

- **المطلب الثاني:** من شروط الاحتجاج برأي الصحابي عند الإمام شريح.

وفيه مسائل:

(١) ألا يخالف رأي الصحابي ظاهر الكتاب.

(٢) ألا يخالف رأي الصحابي ظاهر السنة.

❁ **المبحث الثاني: الاستصحاب عند الإمام شريح.**

- **توطئة:**
- ١- تعريف الاستصحاب. ٢- نشأة الاستصحاب.

obeikandl.com

- **المطلب الأول**: موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالاستصحاب.

١-حجية الاستصحاب عند الأصوليين.

٢-موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالاستصحاب.

- **المطلب الثاني**: أنواع الاستصحاب عند الإمام شريح.

١- أنواع الاستصحاب عند الأصوليين.

٢- أنواع الاستصحاب عند الإمام شريح.

❁ **المبحث الثالث: الاستحسان عند الإمام شريح.**

توطئة:

١- تعريف الاستحسان. ٢- نشأة الاستحسان.

- **المطلب الأول**: موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالاستحسان.

١-الاحتجاج بالاستحسان عند الأصوليين.

٢-موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالاستحسان.

- **المطلب الثاني**: أنواع الاستحسان عند الإمام شريح.

١- أنواع الاستحسان عند الأصوليين.

٢- أنواع الاستحسان عند الإمام شريح.

❁ **المبحث الرابع: شرع من قبلنا عند الإمام شريح القاضي.**

- **توطئة**: تعريف شرع من قبلنا.
- **المطلب الأول**: الاحتجاج بشرع من قبلنا عند الأصوليين.
- **المطلب الثاني**: موقف الإمام شريح من الاحتجاج بشرع من قبلنا.

❁ **المبحث الخامس: صد الذرائع عند الإمام شريح.**

- **توطئة**: تعريف سد الذرائع.
- **المطلب الأول**: الاحتجاج بسد الذرائع عند الأصوليين.

obeikandl.com

- **المطلب الثاني**: موقف الإمام شريح من الاحتجاج بسد الذرائع.

❁ **المبحث السادس: المصالح المرسلة عند الإمام شريح.**

- **توطئة**: تعريف المصلحة المرسلة.
- **المطلب الأول**: الاحتجاج بالمصالح المرسلة عند الأصوليين.
- **المطلب الثاني**: موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالمصالح المرسلة.

❁ **المبحث السابع: العرف عند الإمام شريح.**

- **توطئة**: تعريف العرف.
- **المطلب الأول**: الاحتجاج بالعرف عند الأصوليين.
- **المطلب الثاني**: موقف الإمام شريح من الاحتجاج بالعرف.

(الفصل السابع)

"الترجيح عند الإمام شريح القاضي"

- **توطئة**: تعريف الترجيح.

❁ **المبحث الأول: موقف الإمام شريح من العمل بالراجح:**

- **المطلب الأول**: آراء الأصوليين في العمل بالراجح.
- **المطلب الثاني**: حكم العمل بالراجح عند الإمام شريح.

❁ **المبحث الثاني: أقسام الترجيح عند الإمام شريح.**

- **المطلب الأول**: الترجيح بين دليلين منقولين.
- **المطلب الثاني**: الترجيح بين دليلين منقول ومعقول.
- **المطلب الثالث**: الترجيح بين دليلين معقولين.

obeikandi.com

(الفصل الثامن)

"المقاصد الشرعية عند الإمام شريح"

- **توطئة:**

(١) تعريف المقاصد. (٢) أقسام المقاصد عند الأصوليين.

❁ **المبحث الأول: موقف الإمام شريح من المقاصد من حيث مدى الحاجة إليها.**

- **المطلب الأول:** موقف الإمام شريح من المقاصد الضرورية.
- **المطلب الثاني:** موقف الإمام شريح من المقاصد الحاجية.
- **المطلب الثالث:** موقف الإمام شريح من المقاصد التحسينية.

❁ **المبحث الثاني: موقف الإمام شريح من المقاصد من حيث تعلقها بعموم الأمة وخصوصها.**

- **المطلب الأول:** موقف الإمام شريح من المقاصد الكلية.
- **المطلب الثاني:** موقف الإمام شريح من المقاصد البعضية (الجزئية).

❁ **المبحث الثالث: موقف الإمام شريح من المقاصد من حيث القطع والظن فيها.**

- **المطلب الأول:** موقف الإمام شريح من المقاصد القطعية (اليقينية).
- **المطلب الثاني:** موقف الإمام شريح من المقاصد الظنية.
- **المطلب الثالث:** موقف الإمام شريح من المقاصد الوهمية.

(الفصل التاسع)

"علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الإسلامي"

❁ **المبحث الأول: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الإسلامي قبل ظهور المذاهب الفقهية (في طور النشأة).**

obeikandi.com

- **المطلب الأول**: علاقة فقه الإمام شريح بفقه الصحابة ﷺ.
  ١- أثر فقه الصحابة في فقه الإمام شريح.
  ٢- أثر فقه الإمام شريح في فقه الصحابة.
- **المطلب الثاني**: علاقة فقه الإمام شريح بفقه التابعين.
  ١- أثر فقه التابعين في فقه الإمام شريح.
  ٢- أثر فقه الإمام شريح في فقه التابعين.

❁ **المبحث الثاني: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الإسلامي بعد ظهور المذاهب (طور النهضة).**

- **المطلب الأول**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الحنفي.
- **المطلب الثاني**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه المالكي.
- **المطلب الثالث**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الشافعي.
- **المطلب الرابع**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الحنبلي.
- **المطلب الخامس**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الظاهري.
- **المطلب السادس**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الإباضي.
- **المطلب السابع**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الزيدي.
- **المطلب الثامن**: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الإمامي.

❁ **المبحث الثالث: علاقة فقه الإمام شريح بالفقه الإسلامي في العصر الحديث.**

- **المطلب الأول**: الاستفادة من آرائه في شرح مواد التقنين للفقه الإسلامي.
- **المطلب الثاني**: احتجاج الباحثين في الفقه المقارن بآرائه.
- **المطلب الثالث**: استفادة الدراسات الفقهية المتخصصة بآرائه.

❁ **خاتمة الفصل التاسع في: مفردات الإمام شريح الفقهية.**

obeikandi.com

- **توطئة:** تعريف المفردات.

أهم مفردات الإمام شريح:

١- رأيه في إرث النساء الولاء. ٢- رأيه في الولاء هل يورث.

٣- رأيه في الوقف.

obeikandl.com

وبعد:

فلا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أردَّ الفضل لأهله، والخير لسببه إلى شيخي وأستاذي ومعلمي الذي تكرم بقبوله الإشراف على هذا البحث الأستاذ الدكتور/ **محمد إبراهيم شريف**، فأياديه البيضاء على البحث وعلى صاحبه جزيلة عظيمة، فجزاه الله خيرًا على حسن التوجيه ووفور الرعاية والعناية، فأسأل الله أن يجزل له العطاء، وأن يتزله منازل الأنبياء والصديقين والصالحين والشهداء.

كما لا يفوتني أن أشكر كل أساتذتي الذين تكرموا عليَّ بالنصح تارة وشحذ الهمة أخرى وأشكر شكر الحافظ للجميل كل من شاركني معاناة هذا البحث بنصح أو إرشاد أو دعوة صالحة.

وأخيرًا أسأل الله ﷻ أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يغفر لي زلاتي ويتجاوز عن هفواتي، فهو ﷻ الكريم المنان، فما كان في هذا البحث من خير وصواب، فمنه ﷻ، وبفضله ومنه، وما كان من غير ذلك، فمني ومن الشيطان، والله منه براء، فاللهم هذا جهدي ووسعي، فإن كان قليلا فَكثّره بفضلك، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com

التمهيد

أولا: حقيقة منهج الإمام شريح الفقهي

۞ ويشتمل على:

١- المنهج في اللغة.

٢- المنهج في الاصطلاح.

٣- التعريف المختار ونزعاته.

٤- أركان المنهج.

٥- الألفاظ ذات الصلة بالمنهج.

٦- المقصود بمنهج شريح القاضي الفقهي.

obeikandl.com

obeikandl.com

التمهيد

حقيقة منهج الإمام شريح الفقهي

(١) في اللغة

المعاجم العربية تذكر أن كلمة منهج مشتقة من الفعل الثلاثي نَهَجَ، فهي على وزن مَفْعَل[1]، ومعناها: الطريق الواضح البَيِّن[2].

والأصل في كل كلمة على وزن مَفْعَل أن تصلح للإطلاق على اسم المكان واسم الزمان والمصدر الميمي، ولكنها استخدمت هنا كاسم للمكان المطروق الواضح البَيِّن.

وتجمع كلمة "منهج" على " مناهج"[3].

والفعلان الثلاثي "نَهَجَ"، والرباعي منه المزيد بالهمزة "أنهج" بمعنى واحد، قال السرقسطي: "نَهَجَ الطريقُ والأمرُ نَهْجًا ونُهُوجًا وأنْهَجَ وضح،

---

(١) انظر:مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط دار المنار، ص٣٠٨، وأقرب الموارد في فُصَح العربية والشُّوارد، لسعيد الخوري، مطبعة مرسلي اليسوعية بيروت، سنة ١٨٨٩م، ج ٢، ص ١٣٥٠.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، ط/ دار صادر ودار بيروت، سنة ١٩٥٦م، ١٣٧٥هـ، مادة (نهج)، ج٢، ص ٣٨٣-٣٨٤، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ط: الهيئة القومية المصرية للكتاب سنة ١٣٩٧م، ١٩٥٦م، مادة (نهج) (ج١، ص٢٠٩)، والصحاح أو تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مطبعة بولاق ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م، صورتها دار العلم للملايين.

(٣) انظر المراجع السابقة.

ونهجته أنا وأنهجته"[1]، وقال الصغاني: "أنهجت له الطريق إنهاجًا: أي أبنته وأوضحته مثل نهجته"[2].

ويأتيان أيضًا لازمين ومتعديين فنقول: نهج الطريق وأنهج: أي وضح وبان، وتقول: نهجتُهُ الطريقَ وأنَهْجَتُهُ: أي أوضحته وأبنته[3].

وذكر الجوهري وغيره معنى آخر للفعل نَهَجَ وهو سَلَكَ فنقول: نهجتُ الطريقَ إذا سلكته[4].

---

(١) انظر: الأفعال، للسرقسطي، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م (ج٣-ص١٢٣).

(٢) انظر: التكملة والذيل والصلة لكتاب الصحاح، للصغاني، تحقيق عبد العليم الطحاوى، ط/ دار الكتب، ج١، ص ٥٠٢.

(٣) انظر: الأفعال، للسرقسطي (ج٣ -ص231).

(٤) انظر: الصحاح، للجوهري (ج٢ -ص٣٢٠) والمراجع السابقة.

obeikandl.com

وتكاد المعاجم اللغوية تجمع على أن كلمة " منهج " المشتقة من الفعل الثلاثي نَهَجَ التي على وزن مَفْعَل ترادف كلمة " مِنْهاج "[1] المشتقة من نفس الفعل الثلاثي ولكن على وزن " مِفْعَال " الصالح للإطلاق على اسم الآلة وصيغة المبالغة، ولكن كلمة مِنْهاج اشتهر استخدامها كاسم للطريق الواضح البَيِّن، وبهذا المعنى جاء الذكر الحكيم، قال ﷻ:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [2] أي طريقًا واضحًا بَيِّنًا[3].

وكل المصنفات العربية التي أطلق عليها مؤلفوها ومصنفوها اسم "مَنْهَج" أو "منهاج"[4]، معناها عند مؤلفيها ومصنفيها الطريق الواضح البَيِّن[5].

واستخلص من هذا العرض السابق أن كلمتي مَنْهَج ومِنْهَاج تدور معانيهما حول (الوضوح والإبانة والسلوك)، واحتواء كلمتي "مَنْهَج

---

(١) انظر: مثلا الصحاح، للجوهري (ج٢ –ص٣٢٠)، ولسان العرب لابن منظور (مادة نهج، ج٢ – ص٣٨٣)، ومختار الصحاح، للرازي، ص٣٠٨، والقاموس المحيط للفيروزأبادي (ج١ – ص٢٠٩) (نهج)، ومجمل اللغة لابن فارس (ج٣ – ص ٨٤٥) والإفصاح في فقه اللغة، لعبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، دار الفكر العربي (ج١ –ص ٢٩٠).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٦/٢١١) دار الشعب، سنة ١٣٧٣هـ.

(٤) مثل كتاب الإمام أبي الوليد الباجي المنهاج في ترتيب الحجاج، وكتاب الإمام النووي المنهاج، وكتاب الإمام مسلم الصحيح المنهاج، وكتاب الشيخ زكريا الأنصاري المنهج الذي اختصر فيه المنهاج للإمام النووي، وكتاب الإمام الأسنوي منهاج الأصول.

(٥) انظر: المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا، ط/ الشركة العالمية للكتاب، سنة ١٩٨٢ م (ج٢، ص٤٣٤).

ومِنهَاج" على هذه المعاني الثلاثة هو ما ساعد الكلمتين على التطور اللغوي لتكتسبا معنًى جديدًا لم تستعملا فيه من قبل، ألا وهو " الخطة المرسومة " وهذا المعنى الجديد هو الذي أقرَّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأدخله ضمن مادته لمعجمه الوسيط مع وصفه له بأنه محدث[1].

وأستطيع أن أقول: إن المعنى الذي أقرَّه المجمع يُعدُّ حلقة الوصل بين المعنى اللغوي لكلمة المنهج ومعناها الاصطلاحي لأنه نقل المعنى لهذه الكلمة من حيز الحسيات إلى حيز المعنويات والعقليات بوصف الخطة بأنها مرسومة؛ والرسم المقصود هنا الرسم الذهني، بتحديد نقاط الخطة وترتيبها ترتيبًا منطقيًا وليس المقصود بالخطة المرسومة تحديد قطعة من الأرض لسكنى قبيلة معينة أو أفراد معينين كما حدث في الكوفة عندما قسمها عمر ﷺ لمناهج، لكل قبيلة أو عدد من القبائل منهج فالمقصود بمناهج الكوفة المعنى اللغوي وهو الطريق الواضح البين، وليس المعنى الذي أقرَّهُ المجمع ؛ لأن المجمع ضرب مثالا لذلك، فقال: " ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم "[2] فبان قصده للمعنى المراد في بحثي، واللَّه أعلم.

(١) انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الثالثة، ج٢، ص٩٩٥.
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) المنهج في الاصطلاح

❁ **وقفة مع أوَّلية المنهج وممن يؤخذ تعريفه:**

مصطلح "المنهج" ومفهومه دار حولهما جدل شديد قديمًا وحديثًا[1]، فانعكس ذلك على محاولات المهتمين بوضع الحدود والتعريفات للعلوم الفكرية، فأثمرت هذه المحاولات العديد من التعريفات للمنهج يرجع كل منها لما يعتنقه صاحب هذا التعريف من توجه فكري، ومن هذه التعريفات:

❁ أن المنهج فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين.

وهذا التعريف بجانب ما يوصف به من الطول غير السائغ في عرف واضعي الحدود والتعاريف، فإنه كذلك يُعَدُّ ناقصًا أيضًا؛ لأنه لا يكاد يتحدث إلاَّ عن الأفكار، لا عن الوقائع والقوانين، وما هذا إلاَّ لأن من عرَّف المنهج بهذا التعريف عُنِيَ بالمنهج الرياضي الاستدلالي، دون المنهج التجريبي التاريخي[2].

---

(١) أعاد كثير من الباحثين الجدل والنقاش حول المنهج ومفهومه إلى ما قاله أرسطو وأفلاطون فيه، واستمرت فكرة المنهج مثار نقاش إلى القرن العشرين (راجع: مناهج البحث، د/ عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية سنة ١٩٦٣م (ص ٣، وما بعدها)، ومصطلحات فكرية، لسامي خشبة، المكتبة الأكاديمية، سنة ١٩٩٤م (ص ٥٤٧).

(٢) انظر: مناهج البحث د/ عبد الرحمن بدوى (ص٤).

وقد يغتفر هذا في التعريف السابق إذا علمنا أنه – يُعَدُّ بمثابة النشأة لفكرة المنهج بمعناه الاصطلاحي[1].

وهذا التعريف وإن كان نشأ معتمدًا على فكر مفكري عصر النهضة الأوربية، ثم صُقِلَ على يد مفكري الغرب في القرن السابع عشر أمثال "فرنسيس بيكون" في كتابه "الأرجانون الجديد NOVUM ORGANUM" سنة ١٦٢٠هـ، بصياغته فيه قواعد المنهج التجريبي، ثم ديكارت في كتابه " مقال في المنهج " سنة ١٦٣٧هـ[2].

ولكن كل هذا لا يجعلنا نقبل ما يفهم من عرض كثير من الباحثين[3] الذين يربطون نشأة فكرة المنهج بفكر أفلاطون وأرسطو والفكر اليوناني بصفة عامة، ثم يجعلون تطورها على يد مفكري عصر النهضة الأوربية ثم مفكري الغرب في القرن السابع عشر، في حين سكوتهم المطبق عن الحديث عن مناهج مفكري المسلمين، وكأن المنهج لم يعرف إلا عند

---

(١) قصد بالمعنى الاصطلاحي دخول فكرة المنهج في إطار علماء علم الفلسفة المنطقية واستخدامها كمصطلح متعارف عليه، وإلاَّ ففكرة المنهج استعملها أفلاطون بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، في حين استخدمها أرسطو أحيانًا كثيرة بمعنى البحث.
وهذا التردد الواضح في معناها عند أفلاطون يوضح أن الفكرة ما زالت في حيز الظاهرة، و لم تُعد بعد عنصر دراسة محددًا منضبطًا.
وإن كان المعنى الاشتقاقي لكلمة " "methodمنهج" –كما يذكر د/ عبد الرحمن بدوى – يدل على الطريق أو المنهج المؤدى إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب والعقبات، راجع: مناهج البحث، د/ عبد الرحمن بدوى (ص ٣).

(٢) انظر: مناهج البحث، د/ عبد الرحمن بدوى (ص ٤).

(٣) على رأس هؤلاء الباحثين د/ عبد الرحمن بدوى (انظر المرجع السابق، نفس الموضع، وما بعده).

اليونان، ثم عصر النهضة مباشرة[1]، وذلك لأن العرب لم يعرفوا -في وجهة نظرهم- أصول الترتيب العقلي المنطقي للأشياء.

والناظر بإنصاف في تاريخ نشأة فكرة المنهج " يتبين له تبينًا واضحًا أن شطري المنهج (المادة والتطبيق) مكتملان اكتمالا مُذهلا يحيِّر العقل منذ أوَّليَّة هذه الأمة العربية المسلمة صاحبة اللسان العربي، ثم يزداد اتساعًا واكتمالا وتنوعًا على مرِّ السنين وتعاقب العلماء والكتَّاب في كل علم وفنٍّ، وأقول لك غير متردِّد إن الذي كان عندهم لم يكن قطُّ عند أمة سابقة من الأمم حتى اليونان وأكاد أقول لك غير متردد أيضًا أنهم بلغوا في ذلك مبلغًا لم تدرك ذروته الثقافة الأوربية الحاضرة اليوم، وهى في قمة مجدها وازدهارها وسطوتها على العلم والمعرفة. وتستطيع أن تستشف شطري المنهج تلوح بوادره الأولى منذ عهد علماء صحابة رسول الله ﷺ، ومن حُفِظت عنهم الفتوى منهم، كعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ﷺ، كانت كاللَّمحة الخاطفة والإشارة الدالة، ثم زادت وضوحًا عند علماء التابعين[2] كالحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وابن شهاب الزهري، والشعبي، وقتادة السدوسي، وإبراهيم النخعي، ثم اتسع الأمر واستعلى عند جل الفقهاء والمحدثين من بعدهم كمالك بن أنس، وأبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف، ومحمد بن الحسن، الشيباني، والشافعي، والليث بن

---

(١) انظر: رسالة منهج البحث عند الكندي، رسالة دكتوراه للباحثة فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل كلية البنات، عين شمس، قسم الدراسات الفلسفية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص٢٩.

(٢) ومنهم شريح القاضي الذي خصصت هذه الدراسة لمنهجه الفقهي.

سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين والبخاري ومسلم وأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وأبي جعفر الطبري، وأبي جعفر الطحاوي ثم استقر تدوين الكتب فصارت نهجًا مستقيمًا، وكالشمس المشرقة نورًا مستفيضًا عند الكاتبين جميعًا، منذ سيبويه، والفراء، وابن سلام الجمحي، والجاحظ، وأبي العباس المبرد، وابن قتيبة، وأبي الحسن الأشعري، والقاضي عبد الجبار المعتزلي، والآمدي، وعبد القاهر الجرجاني، وابن حزم، وابن عبد البر، وابن رشد الفقيه، وحفيده ابن رشد الفقيه، والفيلسوف. وابن سيناء، والبيروني، وابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، وآلافٍ مؤلفة لا تحصى حتى تنتهي إلى السيوطي، والشوكاني، والزبيدي، وعبد القادر البغدادي في القرن الحادي عشر الهجري.

سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ودَرْبٌ مطروق في ثقافة متكاملة متماسكة راسخة الجذور، ظلت تنمو وتتسع وتستولي على كل معرفة متاحة أو مستخرجة بسلطان لسانها العربي.

لم تفقد قط سيطرتها على النهج المستبين مع اختلاف العقول والأفكار والمناهج والمذاهب، حتى اكتملت اكتمالا مذهلا في كل علم وفنٍّ[1].

هذا التأصيل الدقيق الذي سطره العلامة محمود شاكر ورصد فيه فكرة المنهج في الفكر العربي المسلم منذ أوليته، يكشف لنا زيف هذه الدعاوى التي أخذت على عاتقها نسبة كل عمل ذهني دقيق للفكر اليوناني ثم الفكر الغربي.

(١) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للعلامة محمود شاكر، ط/ الهلال، ص٣٣-٣٤.

ولم يكن ذكرى لهذا التأصيل الدقيق سببه ما أوردته من تعريف للمنهج، ذلك التعريف الذي عَدَّه المصنفون في علم المناهج بمثابة النشأة لفكرة المنهج الاصطلاحي، فاحتاجت هذه الدعوى إلى شيء من التأصيل.

بل هناك سبب آخر يمثل الأهمية الحقيقية التي جعلتني أذكر هذا التأصيل لفكرة المنهج في هذه الدراسة، وهو أن لفظ المنهج لو اتفقنا على أنه اصطلاح نشأ في الفكر اليوناني ثم تتطور على يد الفكر الغربي، لكان صعبًا أن أستخدم المنهج كمصطلح علمي دون الالتزام بالضوابط والمعايير التي أنتجها الفكران اليوناني والغربي لفكرة المنهج، ولو اتفقنا على أصالة فكرة المنهج في الفكر العربي المسلم؛ لكان ذلك سببًا لتيسير دراستي من خلال التصور العربي المسلم لفكرة المنهج بغير التجاء لفكرة احتلال المصطلح كما لو سلمنا بالاحتمال الأول.

هذا بجانب أن إثبات أصالة فكرة المنهج في الفكر العربي المسلم، يُعَدُّ توثيقًا قويًّا لإمكانية تحقق المنهج بصورة متكاملة في جهود شريح، باعتباره فقيهًا مسلمًا، وتكون هذه الدراسة بمثابة التطبيق العملي لتأصيل الفكرة النظرية التي عرضها العلامة محمود شاكر -رحمه الله -.

وإذا سلمنا بأصالة فكرة المنهج عند المسلمين، يمكننا من خلال هذا التسليم أن ننظر في المنهج كمصطلح عند العرب، فالواضح من خلال بحثي في العديد من المصنفات التي تقترب موضوعاتها من فكرة المنهج، أن المنهج كمصطلح لم يختلف معناه عن ما ذكره اللغويون من معنى للفظ المنهج، ولكن أوضح من استخدم لفظ المنهج الشيخ الرئيس ابن سينا في

كتابه "الشفاء"[1] حيث جعله خطوات يحاول بها الفصل بين ما هو حسي وطبيعي وبين ما يقع وراء الحواس (ما وراء الطبيعة)، وفى الفصل بين نهج التعرف على كل منهما ثم الجمع بين نهج التيقن -أو الطريق المنطقي للوصول إلى اليقين- بشأنهما معًا. وذلك الذي اتفق معه فيه العالمان والمفكران الكبيران أبو الوليد ابن رشد، وأبو حامد الغزالي مع كونهما قد يختلفان في كثير من قضايا الفكر عدا ذلك[2].

والناظر في المنقول عن الرئيس ابن سينا يجده في الحقيقة لا ينشيء تعريفًا للمنهج، بل يتحدث عن استخدام للمنهج في أمرين في الفصل بين الحسي والطبيعي وما وراءهما. وفى التيقن.

والذي أراه أن المنهج ما زال عند ابن سينا بنفس معناه اللغوي أيضًا، بل وإن المعنى اللغوي يظل مستخدمًا إلى أن يسمِّى الإمام الباجي كتابة المنهاج، ثم يسمى الإمام النووي بعض كتبه أيضًا بالمنهاج، حتى يصل هذا المعنى إلى الشيخ زكريا الأنصاري فيسمِّى كتابه بالمنهج. وغاية ما وقع من تطور في معنى كلمة المنهج هو نقلها من الحسيات إلى المعنويات بأن يكون الطريق الواضح البين طريقًا للعمليات الذهنية التي يقوم بها العقل.

وعند النظر في مكونات المعنى اللغوي لكلمة " منهج " المشتمل على (الطريق، والإبانة، والسلوك) يمكن وضع هذه المعاني الثلاثة كمكونات لكلمة المنهج على النحو التالي:

١- وجود طريق يتصف بالوضوح.

---

(١) انظر: مصطلحات فكرية، سامي خشبة، ص ٥٤٧.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

٢- استخدام هذا الطريق كوسيلة.

٣- وجود غاية وهدف هما الدافعان لسلوك هذا الطريق.

والجدير بالذكر أن هناك تعريفات عرف بها المهتمون بعلم المناهج "المنهج" تشترك في معناها مع المعنى اللغوي في المكونات التي ذكرتها، وإن اختلفت من حيث الألفاظ، ومن هذه التعريفات:

"أن المنهج علم التفكير، وأنه طريقة كسب المعرفة، وأنه خطوات منظمة محددة يسلكها الباحث في معالجة موضوع ما[1] وأنه نظام فكرى أو علمي ما في جمع مادته المعرفية "[2].

ومنها أيضًا: "أنه مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين وتتوقف طبيعة هذه الإجراءات وتفاصيلها على الغاية منها، وتتنوع بتنوع العلوم "[3].

والناظر في التعريفات السابقة يجدها تتباين من حيث الألفاظ، ولكنها تتفق في غالب أمرها مضمونًا ومعنىً، وغاية الأمر الإطناب تارة والإيجاز أخرى، وعند فحصها نجدها تحتوى على نفس المضمون السابق ذكره في المعنى اللغوي المتمثل في: وجود الطريق واستخدامه كوسيلة، ووجود غاية أو هدف لسلوكه.

---

(١) انظر: رسالة دكتوراه، قواعد المنهج عند ابن حزم الأندلسي، للباحث: المهدي عيادي الصابرني، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، سنة ١٩٩٥م (ص٢٢).

(٢) انظر: مصطلحات فكرية، سامي خشبة (ص ٥٤٧).

(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحنفي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس (ص٤٧١).

والواضح أن فكرة المنهج بهذا التصور المكون من هذه المكونات الثلاثة قاسم مشترك في الفكر الإنساني، يدركه كل عقل مفكر يبغى الوصول لهدف.

ومن خلال هذه المعاني يمكن أن أطرح تعريفًا أراه مناسبًا لنسبة هذا البحث للدراسات الأصولية والفقهية، مع توضيح نزعات هذا التعريف المختار.

٣- التعريف المختار:

من العرض السابق لنشأة المنهج يمكن أن أضع تعريفًا للمنهج يتناسب واستخدامه في مجال البحث الأصولي والفقهي، وهو:

❁ **أن المنهج:** هو مجموعة العمليات الذهنية المنتظمة المستخدمة كوسيلة للوصول لحقيقة أو دليل عليها.

وهذا التعريف بجانب جمعه لعناصر التعريفات السابقة، ذلك الجمع الذي يظهر في تمثل العنصر الأول في قوله: مجموعة العمليات الذهنية المنتظمة، والعنصر الثاني المتمثل في قوله: المستخدمة كوسيلة، والعنصر الثالث المتمثل في قوله: للوصول لحقيقة أو دليل عليها.

فهو بجانب هذا الجمع يناسب عملية البحث الفقهي أيضًا؛ وذلك عندما جعل المنهج عبارة عن وسيلة تُستخدم للوصول للحقيقة أو دليل عليها؛ لأن المنهج عندما يستخدمه الفقيه فهو لا يقصد بذلك إجراء عملية ذهنية فحسب يحصل بها لذة البحث، بل يقصد باستخدامه الوصول لغاية وهدف ألا وهو الحكم الشرعي الذي هو موضوع علم الفقه.

وبسبب كون المنهج يستخدم كوسيلة للوصول لحكم شرعي كانت النزعة الغالبة على هذا التعريف هي النزعة الموضوعية، التي لم تنظر لشخص القائم بهذه العملية الذهنية، بل ركزت على العملية الذهنية نفسها.

والناظر للتعريف السابق وعناصره يستطيع التوصل لأركان المنهج التي عليها ينبني ويقوم، وهذا ما نعرض له الآن.

٤- أركان المنهج: المنهج بتعريفه السابق الجامع للعناصر السابق ذكرها، يمكن بتحليله وتحليل هذه العناصر الثلاثة، الوصول لمعرفة أركان المنهج التي قام عليها، والتي لولا وجودها لما كان للمنهج وجود.

ويمكن تحديد أركان المنهج في ركنين أساسيين هما:

١- ركن المادة: وهو المتمثل في هذه العمليات الذهنية التي تثمر قدرًا كبيرًا من المعرفة، ولكن هذا القدر يظل في حيز العقل البشرى ولا يستفاد به بالقدر الكافي إلا أن انضم له الركن الثاني للمنهج ألا وهو:

٢- ركن التطبيق: وهو المتمثل في استخدام هذه العمليات الذهنية بما أثمرته من معرفة كوسيلة للوصول لحقيقة أو الدليل عليها. وركن التطبيق له أهمية بالغة ؛ لأنه "هو الميدان الفسيح الذي تصطرع فيه العقول وتتناصى الحُججُ، والذي يُسمع فيه صليل الألسنة جهرة أو خفية، وفى حومته تتصادم الأفكار بالرفق تارة وبالعنف أخرى، وتختلف فيه الأنظار اختلافًا ساطعًا تارة، وخابيًا تارة أخرى، وتفترق فيه الدروب والطرق أو تتشابك أو تلتقي. هذه طبيعة هذا الميدان، وطبيعة النازلة من العلماء والأدباء والمفكرين. وعندئذ يمكن أن ينشأ ما يسمى "المناهج"[1].

وهذا التحديد الدقيق لمفهوم المنهج وأركانه هو ما دفعني لأسمى الرسالة بعنوان "منهج شريح القاضي الفقهي"؛ لأنني وجدت في لفظ المنهج تعبيرًا صادقًا عن جهد شريح الفقهي؛ لأن شريحًا كان: كما وصفه الدكتور

(١) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للعلامة محمود شاكر، ص٣١.

محمد مصطفى إمبابي: "في مدرسة الرأي يعبر عن الجانب العملي فيها بحكم اتصاله بالناس واحتكاكه المستمر بقضاياهم؛ ولذا كان أكثر الفقهاء خدمة لمدرسة الرأي لاعتماده في خدمتها على الجانب العملي الواقعي، لا الجانب النظري المجرد كما كان الشأن في أقرانه وزملائه"[1].

فكان أبرز ما يميز جهود شريح القاضي الفقهية عنصر التطبيق الذي توفر له من خلال عمله الطويل في القضاء وتفاعله الدائم من الحوادث والنوازل مما ساعده أن يضم لجانب ما منَّ الله عليه به من علم، ما حصَّله من دربة في تطبيق علمه وفكره الفقهي على الواقع المُعاش.

ولذا كان من أولى الألفاظ التي تستحق أن تكون من أهم العناصر الموجهة في هذا البحث لفظ (المنهج) الجامع بين **ركني المادة**: التي تمثل العلم بالفقه الذي يشترك فيه شريح مع غيره من الفقهاء، **والتطبيق**: الذي توفر له بصورة جعلته أكثر الفقهاء خدمة لمدرسة الرأي.

وهذا الاختيار للفظ (المنهج) لم يكن عاريًا عن المقارنة بينه وبين الألفاظ ذات الصلة، بل قام على معايير التفاضل المتمثل في مطابقة اللفظ المختار لجهود القاضي شريح التي تمثل موضوع هذه الدراسة.

وفى هذه الكلمات القادمة أوجز الكلام عن هذه الألفاظ ذات الصلة، مبينًا السبب الذي دعاني لتركها ولاستخدام لفظ المنهج.

٥- الألفاظ ذات الصلة:

أ- مدرسة: وهى كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي "دَرَسَ" على وزن مفعلة، وأصلها في اللغة أن تطلق على مكان الدرس، ولكنها انتقلت إلى

---

(١) انظر: تاريخ الحركة الفقهية الإسلامية، د. امبابي (ص١٣٤)

حيز المجاز فصارت تطلق على جماعة من الفقهاء ينتمون لطريقة مشتركة في الاجتهاد.

وهذه الطريقة التي يشتركون فيها تُعَدُّ نزعة تميز هؤلاء الفقهاء، وتكون سببًا في إطلاق اسمها على هؤلاء الفقهاء، فنجد مدرسة الرأي، سميت بذلك لغلبة الأخذ بالرأي على فقهائها، ومدرسة الحديث؛ لغلبة نزعة التمسك بالأثر والحديث على فقهائها.

وهذا الأمر -أي اشتراك مجموعة من الفقهاء في الاتصاف بنزعة معينة- هو ما جعلني لا أستخدم كلمة مدرسة جزء من عنوان هذه الدراسة؛ لأن المدرسة غالبًا ما تنسب لنزعة تسيطر على جماعة من الفقهاء، وقلما تنسب لشخص، بل أرى نسبتها لشخص من قبيل المجاز؛ لأن لفظ المدرسة يشعر بكثرة الفقهاء من أتباعها وهذا ما لا يتوفر لموضوع بحثي.

ويضاف لما سبق أيضًا أن لفظ مدرسة يقتضى لغة أن يكون هناك درس وتدريس ومجلس لهما، وهذا ما لم يفعله شريح.

هذا بجانب عدم اشتمال لفظ مدرسة على جانب التطبيق بوضوح، في حين أن هذا الجانب يُعدُّ عنصر التميز لجهود شريح الفقهية.

ب- مذهب: وهى كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي "ذَهَبَ" على وزن "مَفْعَل" ويقال فيها نفس ما قيل في كلمة منهج من صلاحية هذه الكلمة بهذا الوزن لأن تطلق على اسم المكان واسم الزمان والمصدر الميمي.

وكلمة مذهب انتقلت لتطلق على معنى قريب من معنى كلمة مدرسة حيث تطلق على جماعة من العلماء يشتركون فيما بينهم في منظومة فكرية متكاملة وينتسبون دائمًا للعالم المجتهد الجليل منشئ هذه المنظومة، ويكون باقي العلماء الذين يشاركونه التفكير من خلال نفس المنظومة أتباعًا له.

ولقد ظهرت في الفكر الفقهي الإسلامي مذاهب كثيرة لكن معظمها لم يستمر، وذلك لعوامل كثيرة ليس المقام محل ذكرها.

وعدم وجود عنصر الاتباع لمنهج شريح القاضي ولفكره، كان السبب الرئيسي في عدم اختياري للفظ المذهب، إذ المذهب من أهم سماته أن يعتقده في كل عصر -أو في عصر منشيء المذهب على الأقل- عدد من العلماء يمثلون أتباع المذهب، وهذا ما لم يتوفر لشريح القاضي.

ومما يدل على هذه السمة قولهم في الليث بن سعد: لقد كان الليث أعلم من مالك، ولكن أتباعه ضيعوه.

وكأن القائل يشير لسبب استمرار مذهب مالك، في حين انقراض مذهب الليث بن سعد؛ ذلك السبب المتمثل في وجود الأتباع الذين يحافظون على منظومة هذا المذهب الفكرية.

ج- فكر فقهي: وكلمة (فِكر) هي اسم يقصد بها إعمال الخاطر في الشيء، ووقوع الشيء في خلده وقلبه. وهذه الكلمة -كما هو واضح- مطلقة فتشمل كل إعمال للخاطر ولذلك كان دور تحديد مدلولها قائمًا على المضاف إليه الذي يحدد جهة التأمل.

والفقه في اللغة الفهم وحسن الإدراك، ثم خُصَّ في الاصطلاح الفقهي بأحكام الشريعة العملية المستفادة من أدلة الشريعة التفصيلية باستخدام المصادر التي نصبها الشارع للنظر والاستدلال؛ ولأن الأحكام الفقهية موجودة فإعمال الفكر فيها للوقوف عليها وتحصيلها وأدلتها[1].

---

(١) انظر: رسالة ماجستير بعنوان الفكر الفقهي لابن حزم الظاهرى، للباحث إبراهيم محمد عبد الرحيم، كلية دار العلوم، سنة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م (ص٥، ٦).

والواضح من العرض لمفهوم كلمة "فكر فقهي" أنها تقترب من لفظ منهج، ولكنها تفتقر لعنصري الدقة والتحديد العلميين اللذين يشعر بهما المستخدم للفظ المنهج؛ لأن لفظ المنهج يشعر بأن موضوع الدراسة محدد المعالم له بداية ونهاية، خطواته مرتبة متلاحقة تتميز بالانسجام فيما بينها، مع وجوب خلوها من أي نوع من التناقض. في حين أن لفظ الفكر -وإن قيد بوصف الفقه- يبقى محتويًا على قدر كبير من عدم التقيد والالتزام الدقيق بالتسلسل الواجب للعملية الذهنية.

هذا بالإضافة إلى الإشارة الواضحة في لفظ الفكر الفقهي إلى جانب المادة المتمثل في العمل الذهني، في حين يصعب أن نجد جانب التطبيق في لفظ الفكر الفقهي بنفس الوضوح الموجود في لفظ المنهج.

د- الاتجاه الفقهي: كلمة (اتجاه) أصلها مصدر للفعل (اتجه) على وزن (افتعل) بمعنى قصد ناحية معينة، ثم صار اسمًا للقصد المعين.

ويقصد بالاتجاه الفقهي الطريق التي سار فيها الفقيه ليصل إلى استنباط الأحكام الشرعية.

أو هو الخصائص المميزة والسمات العامة لفقه فقيه معين.

أو القضايا الكلية التي كانت تحكم فقيهًا معينًا عند نظره الذهني.

وهذا المعنى أخص من معنى المنهج ؛ لأن المنهج هو الطريق الواضح الذي يبين كيفية التطبيق لهذه القضايا والسمات.

فيمكن أن أقول: إن فقيهًا معينًا له اتجاه اجتماعي، لكن منهجه هو سلوكه إزاء قضايا المجتمع، وكيفية علاجه لها، وتنبهه لمشكلات عصره، واقتراحاته لحلها.

فالاتجاه عام وصفى، أما المنهج فهو خاص تطبيقي[1]، وهذا ما جعلني أختار كلمة منهج لمناسبتها لجهود شريح الفقهية التي سمتها الأساسية العملية والتطبيقية، وهذه السمة التي جعلت المنهج أكثر دقة في التعبير عنها.

٦- المقصود بـــ(منهج شريح القاضي الفقهي):

مصطلح المنهج كان بحق إضافة حقيقية لمعجم المصطلحات الفقهية؛ وذلك لما احتوى عليه من تعبير صادق عن جهود فقهاء كثيرين يكون من إنقاصهم حقوقهم أن نعتبرهم مجرد أتباع لمدرسة أو مذهب فقهي.

ولذا حاولت في الصفحات السابقة أن أضع يدي على حقيقة هذا المصطلح لأعرف مدى حاجة الدراسات الفقهية له، فوجدته أصيلا في الفكر العربي، ويوفر لعملية الكتابة في علم الفقه عنصر الدقة التي تتميز بها الكتابة في هذا العلم.

ومن هذا المنطلق -أصالة المنهج، وحاجة الدراسات الفقهية له- استخدمته عنوانًا لبحثي، وفى هذه الكلمات أحدد بدقة مقصدي من وصف منهج شريح بأنه فقهي.

وبقي لي وأنا أحاول التعريف بعنوان هذه الدراسة أن أحدد بدقة مقصدي من هذا العنوان "منهج شريح القاضي الفقهي"، وهذا ما أنا بصدده الآن.

بيَّنت فيما سبق التعريف الذي اخترته للمنهج وهو أنه مجموعة العمليات الذهنية المنتظمة المستخدمة كوسيلة للوصول للحقيقة.

---

(١) انظر: الاتجاهات الفقهية عند المحدثين في القرن الثالث الهجري، د. عبد الحميد عبد المجيد (ص١١-١٢ بتصرف) ط. الخانجي.

والفقه في اللغة: الفهم وحسن الإدراك، وفي الاصطلاح: العلم بالإحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية.

وإذا وصفنا منهج شريح القاضي بأنه فقهي فيمكن أن نقول إن معناه على ما سبق: مجموعة العمليات الذهنية المنتظمة التي استخدمها الإمام شريح القاضي كوسيلة للوصول لحكم شرعي.

والمقصود بمجموعة العمليات الذهنية المنتظمة التي استخدمها القاضي شريح ما يقوم به القاضي شريح من فكر فقهي عن طريق الإجابة على جملة من الأسئلة، ويتكون من هذه الإجابات وما يتطلبه تطبيقها من إجراءات أركان منهج الإمام شريح، وهذه الأسئلة:

١- السؤال الأول: ما الحجة التي نستنبط منها الأحكام؟

وهذا السؤال الإجابة عنه توضح المصدر الذي يأخذ الإمام شريح القاضي منه الأحكام وهو القرآن الكريم الذي هو أساس التشريع ثم تأتي السنة مبينة له.

٢- السؤال الثاني: كيف تثبت صحة هذا المصدر المحتج به؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال يكشف الإمام شريح القاضي عن رؤية لفكرة الإثبات عن طريق توضيح موقفه من قضية نقل النصِّ وما يستلزمه الحكم بصحة المنقول من شروط وضوابط، مما درس فيها بعد شريح القاضي ضمن مباحث علمي "علوم القرآن والحديث".

٣- السؤال الثالث: كيف تفهم هذا المصدر الثابت المحتج به؟

وهذا السؤال كسابقه يأتي بصورة منطقية، فبعد تحديد الحجة في استنباط الأحكام، ثم إثباته، يأتي دور السؤال الثالث وهو **كيف تفهم القرآن الكريم والثابت لدينا؟**

وفي إجابة الإمام شريح على هذا السؤال سيكشف لنا عن أدواته التي يستخدمها في تحليل النص المحتج به والثابت لديه، وسيكشف لنا القواعد التي اعتمد عليها في ذلك وهذه القواعد غالبًا ما تكون جامعة بين بعض قواعد اللغة وخصائصها وبعض الأحكام الفقهية الشائعة وغير ذلك من القواعد، ولكن الأحكام التي قد تستنبط عن طريق هذه الأدوات تكون نسبة الظني فيها أكثر مما ينبغي، فكيف يتخلص من ذلك؟

٤- السؤال الرابع: كيف نتخلص من الظنية المصاحبة للأحكام المستنبطة عن طريق قواعد وأدوات فهم النص؟

وفى الإجابة عن هذا السؤال يكشف الإمام شريح عن أداة تتمثل في دليل إجمالي هو الإجماع يستطيع من خلالها تقليل مساحة الظنية في الأحكام التي استنبطها عن طريق قواعد فهم النص، حيث يقوم الإجماع بدور نقل الأحكام من دور الظنية إلى دور القطعية، ومن ثم لا يستطيع أحد أن يقول: إن المقصود من قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ تحريم الخلوة بهن ؛ لأن الإجماع نقل النص من ظنية الدلالة التي تجعله يحتمل تحريم الخلوة بهن إلى حيز القطعية حيث أجمع الفقهاء على أن المقصود حرمة الاستمتاع.

٥- السؤال الخامس: إذا كانت النصوص متناهية، ماذا نفعل إذا وردت حادثة لم يشملها النص بلفظ؟

وفى إجابة هذا السؤال يكشف الإمام شريح القاضي عن موقفه من قضية الإلحاق والقياس، مبينًا الشروط التي يشترطها في كل من: الأصل والفرع والعلة.

٦- السؤال السادس: ماذا نفعل إذا فقدت المسألة أو الحادثة المراد استنباط حكم لها شرطًا من شروط الأصل أو العلة أو الفرع؟

۞ أو بعبارة أخرى: ماذا نفعل إذا لم نستطع إجراء الإلحاق في هذه الحادثة؟

وهنا تكون إجابة الإمام شريح القاضي مضيفة ركنًا هامًّا من أركان منهجه وهو موقفه من "الاستدلال" الذي يلجأ إليه الفقيه عند عدم تمكنه من استنباط الحكم عن طريق فهم النصوص أو الإلحاق وفي هذا الموقف يبيِّن جملة من الأدوات التي يستخدمها عند الاستدلال ومن هذه الأدوات قول الصحابي، والعرف، والاستحسان، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، وشرع من قبلنا وغير ذلك من الأدوات التي مردها إلى معاني كلية لا إلى النصوص.

٧- السؤال السابع: ماذا نفعل إذا وقع تعارض في الحكم المستنبط بين بعض أدوات ووسائل استنباط الحكم من: فهم النصوص أو الإلحاق بها أو الاستدلال؟

وهنا يجيب الإمام شريح القاضي عن هذا السؤال ليكشف لنا عن موقفه من "الترجيح بين الأدلة المتعارضة" أو أدوات استنباط الحكم من الأدلة المتعارضة.

بعد هذه الإجابات على الأسئلة السبعة السابقة تكون عملية الاجتهاد من قبل الإمام شريح قد تمت لم يبق إلا أن يعرض هذا الاجتهاد على مقاصد الشريعة، فإن وافق مقاصد الشريعة قبل، وإلا ردَّه الإمام شريح؛ لأن مقاصد الشريعة هي المعيار الذي يزن به الفقيه اجتهاده.

فمن ثَمَّ استطيع أن أقول: إن أركان منهج شريح القاضي الفقهي هي:

١- موقفه من الحجية.

٢- موقفه من إثبات النصوص.
٣- موقفه من فهم النصوص.
٤- موقفه من الظنية والقطعية التي تعتري الأحكام المستنبطة.
٥- موقفه من إلحاق الحوادث بالأحكام المنصوص عليها.
٦- موقفه من الاستدلال عند فقده لإمكانية الإلحاق.
٧- موقفه من الترجيح بين الأدلة المتعارضة.

هذا بجانب عرض نتيجة هذا الاجتهاد على مقاصد الشريعة، وسأعقد كل قضية من هذه القضايا فصلا مستقلا، مُبَيِّنًا كيف كان موقفه من كل قضية يمثل ركنًا من أركان منهجه الفقهي بحيث إذا ضُمَّ موقفه من كل واحدة منهن معًا تكونت الرؤية الكلية التي أثمرت فقهه.

obeikandl.com